مقياس لمصادر تونسي تابع

المحور الرابع المصادر الأخرى

تراوحت علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية بين العداء الشديد مع البعض كإسبانيا البرتغال والنمسا والصداقة مع بريطانيا والاضطراب مع فرنسا ... كانت الدول الأوروبية في أوّل جميعها تدفع ضرائب للخزينة الجزائرية وكانت جميعها تحترمها وتقرّ لها بالقوة والسيطرة على البحر المتوسط ولكن ببداية ضعف الأسطول الجزائري بدأت هذه العلاقة تتدهور وبدأت أطماع أوروبا في الجزائر وخيراتها تظهر شيئا فشيئا.... واذا راعينا هذه المعطيات و الظروف سنكتشف ان معظم الذين كتبوا عن الجزائر في هذه الفترة قد اخذوا بعين الاعتبار طبيعة تلك العلاقات كما يجدر بنا الانتباه الى نوعية تلك الكتابات و ما كانت تحمله في الكثير من المعلومات المغلوطة او تلك التي يجب اخذ الحيط و الحذر و لا يجب تصديقها بمجرد قراءتها و انما يجب التمحيص و التدقيق الشديدين لما يمس بذاكرتنا الوطنية من خدش او تزييف.

1- مذكرات القنصل الأمريكي وليام شالر

أصدر (السير) وليام شالر كتابه الموسوم في الترجمة العربية لإسماعيل العربي بالمذكرات في بوسطن سنة 1826م بدار كومينكز هيليارد وشركائه .لاقى الكتاب عند صدوره رواجا كبيرا بسبب اهتمام العالم كلّه بالجزائر من جهة وبسبب جهلهم بتفاصيل البلاد ونظام الحكم وحقيقة الشعب الجزائري من جهة أخرى وما زاد الكتاب أهمية وخطورة حين صدوره أنّ كاتبه مفكر وسياسي معروف وكونه عبّأه بالروح الصليبية والأطماع الاستعمارية التي كانت العقيدة الشائعة والفكرة الرائجة حينها كلّ هذا زاد من الإقبال على الكتاب والاهتمام به.

2- جيمس ليندر كاثكارت (James Leander Cathcart) مذكرات كاثكارات:

لقد تناول كاثكارت في مذكراته العلاقات الجزائرية الأمريكية، وهي المصدر الأساسي والوحيد في هذا المجال في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وذلك لأن كاثكارت هو الذي تولى المفاوضات مع الداي في مختلف مراحلها لعقد المعاهدة الأولى مع أمريكا، مستغلا في ذلك معرفته بنفسية الداي وبهيكل العلاقات الخارجية بصفة عامة، كما تطرق كاثكارت في مذكراته إلى علاقات الجزائر بالدول الأوروبية، ولقد وصفها بأنها مليئة بالتنافس والتطاحن من أجل المصالح السياسية والتجارية، وقد خصص فصلا لوصف الشؤون البريطانية في الجزائر.

3 - "الجزائر في مؤلَّفات الرحالين الالمان"

صدر للكاتب والمترجم (أبو العيد دودو) كتابٌ بعنوان "الجزائر في مؤلَّفات الرحالين الالمان" ، يقع الكتاب في 208 صفحات قسَّمها المؤلِّف إلى أربعة عشر فصلاً تناول فيها أهم مؤلَّفات الرحالين الألمان الذين زاروا الجزائر منذ احتلال فرنسا لها في 5 يونيو 1830 إلى غاية ،1855 وما حدث في هذه الفترة من انتفاضات شعبية، وتغير جذري في حياة الجزائريين بعد الاحتلال· قام دودو بعرض ملخَّصٍ لكتب ثمانية رحالين تضمَّن أهم ما جاء فيها من معلومات ووقائع وشهادات ثمينة ليضعها بين أيدي الباحثين والمؤرِّخين الجزائريين·

تناولت هذه الكتب تجارب الرحَّالين الشخصية في الجزائر وعلاقتهم بأهلها وبالمعمِّرين الفرنسيين في فترة الربع قرن التي أعقبت الاحتلال، ووصف العادات والتقاليد الجزائرية، وأساليب الحياة في المدن والقرى والأرياف التي زاروها، مما ألقى المزيد من الأضواء على الظروف التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، علماً أن هؤلاء الرحالين وضعوا كتبهم آنذاك لتكون دليلاً لمن أراد من مواطنيهم الألمان الهجرة إلى الجزائر للإقامة الدائمة بها مع المعمرين الأوروبيين والاستيلاء على أخصب أراضيها تحت حماية الاحتلال الفرنسي· (تونسي)

من جهتهما، أبدع كليمانس لامبينغ ولودفيغ بوفري في وصف المدن والتضاريس والطبيعة في الجزائر، وكذلك الحياة الاجتماعية فيها، ولكن يبدو من كتب كل الرحّالين الألمان سابقي الذكر، أنها لم تكن كتب أدب رحلة "عادية"، بل كانت أقرب ما تكون إلى "دليل" للمواطنين الألمان الراغبين في استيطان الجزائر بعد احتلال فرنسا لها وفتحها الأبواب لكل من يرغب في الهجرة إليها من الأوروبيين، مما يدعو إلى التساؤل: هل كان هؤلاء عشاق رحلات أم مكلَّفين بمهمة؟.

و على خطى ابو العيد دودو أنجز رفيق سليمان نيبيا بحثه الموسوم بـ "أدب الترحال الألماني المكتوب عن الجزائر من 1830 إلى1871. دراسات عن صورة الجزائر، وصف رحلاتها وتقاريرها" سنة 1979 في لايبتسيغ بألمانيا، وهو في الأصل رسالة تقدم بها المؤلف لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة من جامعة لايبتسيغ سنة 1978. و قد خلص المؤلف ابو العيد دودو الى نتيجة هامة تنفع الباحث و الدارس للتاريخ، مفادها ان غاية هؤلاء الرحّالة بتأليفهم لهذه الكتب هي في أغلب الأحيان الدسّ والتشويه، لأن مصالحهم اقتضت دائمًا قطع كل صلة تربط الجزائر بماضي الأجداد. ويحدّد المؤلف مهمته من خلال هذا العمل في المشاركة في إعادة كتابة تاريخ بلاده بما أنه يتقن اللغة الألمانية، وتتم مشاركته في نظره عن طريق عرض النصوص المكتوبة بهذه اللغة وتقديمها للمؤرخين المتخصصين لتقويمها ومقارنتها مع نصوص أخرى وفحص مدى صحّتها وموافقتها للوقائع التاريخية.

نقل إلينا الرحّالة الألمان في مؤلفاتهم التي نتجت عن معاينة مباشرة وباطلاع على ما كتبه الأوربيون أو مواطنوهم الألمان الذين سبقوهم الى الجزائر، صوراً عن العادات والتقاليد والآثار والشواهد الدينية مثل المساجد. (تونسي)